﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ [هود: 10 - 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهما:

تـنـوُّعُ حـالِ الكـافريـنَ عندَ حصولِ النّعمةِ وزوالِـهـا، ولا يـفـوزُ إلّا الـصّـابـرونَ الصّالحونَ

لمّا كانَت أحوالُ الدّنيا غَيرَ باقيَةٍ، بَل هيَ أبَدًا في التَّغَيُّرِ والزَّوالِ والتَّحَوُّلِ، وفيها يكونُ الاختبارُ والامتحانُ، ذكرَ اللّه تعالى حالَةَ الإنسانِ إذْ تأتيهِ النِّعمَةُ ولَم يَسبِقْها الضُّرُّ فيكونُ يؤوسًا كفورًا، ثمَّ عَطَفَ عليه ذِكرَ حالِهِ إذا جاءَتهُ النِّعمَةُ بَعدَ الضُّرِّ فيكونَ فَرِحًا فَخورًا، وكلا الفريقين مَذمومٌ، ثمّ استَثنى منهُم الّذين ردَّتهُمُ الشّرائعُ والإيمانُ إلى الصّبرِ والعملِ الصّالحِ[1].

وأيضًا لمّا بَيَّنَ اللّه تعالى أنَّ الكافِرَ عِندَ البلاءِ لا يكونُ مِنَ الصّابِرينَ، وعِندَ الفَوزِ بالنَّعماءِ لا يكونُ مِنَ الشّاكِرينَ، ثُمَّ لمّا قَرَّرَ ذلكَ قالَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للإيذانِ بأنّهُم عِندَ البَلاءِ مِنَ الصّابِرينَ، وعِندَ الرّاحَةِ والخَيرِ مِنَ الشّاكِرينَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَعۡمَآءَ﴾: النِّعمةُ الحالةُ الحسنةُ ونضارةُ العيشِ من مالٍ وولدٍ وجاهٍ وعلمٍ وصحّةٍ وخيرٍ وفضيلةٍ خاصّة، وتُقالُ للقليلِ والكثيرِ، ويُقالُ امرأةٌ ناعمةٌ ومُنَعَّمَةٌ حَسَنَةُ العيشِ والغِذاءِ مُترَفَةٌ، والتَّنَعُّم: التَّرَفُّه، والنَّعماءُ إنعامٌ يَظهَرُ أثرُهُ على صاحبِهِ؛ لأنَّها أُخرِجَت

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/127.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/323.

مَخرَجَ الأحوالِ الظّاهرةِ نحو: حَمراءَ وسَوداءَ، وهذا هو الفرقُ بينَ النِّعمةِ والنَّعماءِ، ويأتي لفظُ النَّعماءِ بإزاءِ الضَّرّاءِ[1].

2) ﴿ضَرَّآءَ﴾: الضّرُّ ضِدُّ النَّفعِ، وهو سُوءُ الحالِ، وكلُّ ما كانَ مِن سُوءِ حالٍ وفقرٍ في بدنٍ فهو ضُرٌّ، وَما كانَ ضِدًّا للنّفعِ فهو ضَرٌّ، والضَّرّاءُ: مَضرَّةٌ يَظهَرُ أثرُها على مَن أُصيبَ بها، ويكثرُ استعمالُ الضَّرّاءِ فيما يخصُّ البَدَنَ، فكلمةُ ضَرّاءَ بإزاءِ نَعماءَ في أنَّها أُخرِجَت مَخرَجَ الأحوالِ الظّاهرةِ نحو: حمراءَ، كما تَقَدَّمَ[2].

3) ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: السُّوءُ هو كلُّ ما يغُمُّ الإنسانَ، ويكرهُهُ مِنَ الأمورِ الدّنيويّةِ والأُخرويّةِ، ومِنَ الأحوالِ النّفسيّةِ، والبدنيّةِ، والخارجةِ، مِن فَواتِ مالٍ، وجاهٍ، وفَقدِ حميمٍ، ومصيبةٍ، ومنه يُقالُ: ساءَني كذا، وأسَأتَ إلى فلانٍ، وتُطلَقُ السّيّئةُ باعتبارِ الشّرعِ، فتكون بمعنى الخطيئةِ، وباعتبارِ الطّبعِ؛ أي: ممّا يغُمُّ الإنسانَ مِن ضُرٍّ وفَقرٍ ونحوِهما، وهو المرادُ بالسّيّئاتِ هنا[3].

4) ﴿فَخُورٌ﴾: يدورُ معنى الفخرِ على المُباهاةِ أمامَ النّاسِ في الأشياءِ الخارجةِ عنِ الإنسانِ كالمالِ والجاهِ بعدّها على جهةِ تعظيمِها، ويُعبَّرُ عن كلِّ نفيسٍ بالفاخرِ، فيُقالُ: ثوبٌ فاخرٌ، وناقة فَخورٌ: عظيمةُ الضّرعِ، كثيرةُ الدَّرِّ، وأصلُ الفخرِ عِظَمُ الشّيءِ، ومنه: نَخلَةٌ فَخورٌ: عَظيمَةُ الجذعِ غَليظَةُ السَّعَفِ، والتَّفَخُّرُ: التَّعَظُّمُ، والتّفاخرُ: التّعاظمُ، والفخرُ - بالفتحِ والضّمِّ والتّحريكِ -: التَّمدُّحُ بالخصالِ، وعَدُّها لِتعظيمِ القدْرِ وتكثيرِ المآثرِ. والفخرُ يجُرُّ إلى العُجْبِ والتّطاولِ، وهو مَذمومٌ. ومعنى ﴿فَخُورٌ﴾ في الآيةِ: المتَطاولُ على النّاسِ، المتباهي عليهم، بِتَعديدِ مآثرِه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ولَئِنْ منحْنا هذا الإنسانَ النِّعَمَ، وظهرَت عليه آثارُها مِنَ الرّزقِ والصّحّةِ ورخاءِ العيشِ وغيرِها بعدَ ضيقٍ مِنَ العيشِ كانَ فيهِ، لَيقولنَّ عندَ ذلكَ: ذهبَ الضّيقُ والعُسرةُ عنّي،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نعم)، والواحدي: التّفسير البسيط: 11/360، وابن عادل، اللّباب: 10/444.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ضر)، والواحدي، التّفسير البسيط: 11/360، وابن عادل، اللّباب: 10/444.
(3) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سوأ)، والواحدي، التّفسير الوسيط: 2/566.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فخر)، والسّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 2/416.

وزالَتِ الشّدائدُ والمَكارهُ إنَّ الإنسانَ لبَطِرٌ بالنّعَمِ، مُبالِغٌ في الفخرِ بها والتّعالي بينَ النّاسِ، فلا يقابلُ النّعمَ بشكرِ اللّه عليها، لكنِ الَّذينَ صَبَرُوا على ما أصابَهُم مِنَ الضّرّاءِ إيمانًا باللّه واحتِسابًا لِلأجرِ عندَهُ، وعَمِلوا الصّالِحاتِ شكرًا للّه على نعمِهِ، هؤلاء لهم مَغفرةٌ لِذنوبِهِم، وثوابٌ جزيلٌ على أعمالِهِمُ الصّالحةِ الّتي عَملوها في دارِ الدّنيا[1].

الإنسانُ قد يتحوَّلُ مِن النِّعمةِ إلى المِحنةِ فيصبرُ، وإمّا بالعَكسِ فيُشكَرُ ويُؤجَرُ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو على العطفِ في: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾:

المقابلةُ بينَ حالاتِ الإنسانِ كاشفةٌ عن تقلُّبِهِ

جاءَتِ الواو عاطفةً ما بعدَها على ما قبلَها عطفَ تتميمٍ للّتي قبلَها؛ لأنّها حَكَت حالةً ضدَّ الحالةِ الّتي قبلَها.

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بأسلوبِ القسمِ المُقترِنِ بالشّرطِ:

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾، جاءَ فيه التّعبيرُ بأسلوبِ القسمِ المُقترِنِ بالشّرطِ، تأكيدًا على وقوعِ مضمونِ جملةِ الشّرطِ وجوابِ القسمِ؛ لأنّ الخالِقَ بخلقِهِ عليمٌ بما تكونُ عليه تقلُّباتُ أحوالِهِم.

تأكيدُ ما سيقعُ، وما سيكونُ، آيةٌ على كونِهِ العليمَ بأحوالِ خلقِهِ

دلالةُ تتابعِ التّأكيدِ:

تتابعَ التّأكيدُ في جملةِ الشّرطِ والجزاءِ في الآيةِ، فوردَ تأكيدُ الجملةِ باللّامِ الموطِّئةِ للقَسَمِ على معنى (واللّه إنْ) في: ﴿وَلَئِنْ﴾، وباللّامِ الواقعةِ في جوابِ القسمِ في: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾؛ لقصدِ تحقيقِ مَضمونِ الجملةِ؛ للإيذانِ بأنَّ هذا الأمرَ حقيقةٌ ثابتةٌ، لا مُبالَغةَ فيها، ولا تَغليبَ، كما كانَ ذِكرُ القسمِ الأوّلِ في الآيةِ السّابقةِ على وَفْقِهِ ونهجِهِ، فيكونُ بمثابةِ الرّدِّ على كُلِّ مَن يُنكِرُ أن يكونَ طبعُهُ كذلك، فيكون الكلامُ على طريقةِ الخبرِ الإنكاريِّ أيضًا[2].

سوءُ طبعِ الإنسانِ حقيقةٌ ثابتةٌ، لا تغييرَ لها على المدى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/256، والبغويّ، معالم التّنزيل: 2/441، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 222.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/3، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/13.

نكتةُ المخالفةِ في التّعبيرِ بيَن هذه الآيةِ والّتي قبلَها:

الإنسانُ يحبُّ اللّذّةَ والتّنعُّمَ بطبعِهِ

لمّا ذَكَرَ اللّه تعالى في الآيةِ السّابقةِ تحوّلَ النِّعمةِ إلى الشّدّةِ، فقالَ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا﴾، وكانَت هذه الآيةُ في بيانِ العكسِ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ كانَ الظّاهرُ أنْ يذكُرَ تحوُّلَ الشِّدّةِ إلى النِّعمةِ، فيُقدِّمَ مسَّ الضُّرِّ على ذوقِ النَّعماءِ، ولكن خُولِفَ في التّعبيرِ بينَهما، ولم يكونا على نسيجٍ واحدٍ، حيثُ بُدِئَ في الأوَّلِ بإعطاءِ النِّعمةِ وإيصالِ الرَّحمةِ، ولم يبدأْ في الثّاني بإيصالِ الضُّرِّ على نمطِهِ؛ تنبيهًا على سَبقِ الرَّحمةِ على الغَضَبِ، واعتناءً بشأنِها، ولِلتَّنبيه على أنَّ الإنسانَ بطبعِهِ يحبُّ اللَّذّةَ والتَّنعُّمَ، ولموافقةِ النّظمِ في الآيتين في البدءِ بالإذاقةِ[1].

بلاغةُ مجيءِ الشّرطِ مُصدَّرًا بالأداة ﴿وَلَئِنْ﴾:

توبيخُ مَن يَعتقدُ أنَّ النِّعمَ مِن سعيهِ، لا مِن إنعامِ اللهِ عليهِ، فلا يَشتغلُ بشكرِها

أفادَ التَّعبيرُ بـ ﴿وَلَئِنْ﴾ الشّرطيّةِ الّتي للشّكِّ أنَّ فرحَ الإنسانِ وتعاليَه بينَ النّاسِ ممّا ينبغي أن لا يقعَ إلّا على مُجرَّدِ الفَرَضِ والتّقديرُ كما تفرضُ المحالات؛ لاشتمالِ المَقامِ على ما يزيلُهُ مِن أصلِهِ، وهو أنَّ إذاقةَ النّعماءِ بعدَ ضرّاءَ مَسّتهُ، إنّما هُو للاختبارِ والامتحانِ؛ لِيظهرَ لكُم أيُّكُم أحسنُ عملًا، ففي مجيءِ الشّرطِ مُصدَّرًا بـ ﴿وَلَئِنْ﴾ توبيخٌ لِمَن يَعتقدُ أنَّ النِّعمَ الّتي هو فيها مِن سَعيهِ وجَدِّهِ وجُهدِهِ، ولا يَعتقدُ أنّها مِن إنعامِ اللّه عليهِ، فلا يَشتغلُ بِشُكرِها[2]. كما أفادَ التّعبيرُ بكلمةِ الشَّكِّ ﴿وَلَئِنْ﴾ أنَّ إذاقةَ النَّعماءِ بعدَ الضَّرّاءِ؛ أي: مِن حيثُ وقوعُها في نفسِ الأمرِ تحتملُ أن تقعَ في المُستقبلِ، وأن لا تقعَ[3].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/216.
(2) التّفتازانيّ، المطوّل، ص: 321.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/31.

دلالةُ التّعبيرِ بالاستعارةِ بـ ﴿أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾:

إفادةُ لفظِ الإذاقةِ معنى إعطاءِ النّعمةِ وإيصالِها ثمَّ وجدانِ فائدتِها

جاءَ لفظُ ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾ على الاستعارةِ التّصريحيَّةِ التّبعيَّةِ، بتشبيهِ الإعطاءِ المُشتَمِلِ على إدراكِ أثرِ النّعمةِ مِنَ الطّعامِ والمَلبَسِ والصّحّةِ وغيرِها مِن سائرِ المَحسوساتِ، بحيثُ يجدُ لذَّتَها بذوقِ ما يُؤكَلُ ممّا يُشتَهى ويُرغَبُ فيه، ووجهُ الشّبهِ تحصيلُ الشّيءِ والانتفاعُ بهِ على وجهِ حصولِ تمامِ المقصودِ منه، فإنَّ وجدانَ اللّذّةِ كما يَترتَّبُ على الإذاقةِ يَترتَّبُ على الإعطاءِ المذكورِ، فأفادَ التّعبيرُ بلفظِ الإذاقةِ إعطاءَ النّعمةِ مِن صحّةٍ وأمنٍ وجِدَةٍ وغيرِها، وإيصالَها إليهِ، فينتفعُ مِن كلِّ نوعٍ مِن أنواعِ النّعمِ تمامَ الانتفاعِ، بحيثُ يَجِدُ فائدتَهُ ولذَّتَهُ منهُ[1].

فائدةُ مجيءِ الضّميرِ في: ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾:

اليؤوسُ الكفورُ فَرِحٌ فَخورٌ، عندَ إذاقتِهِ النّعماءَ بعدَ ضرّاءَ مَسَّتهُ

جاءَ الكلامُ على مُقتضَى الظّاهرِ فذُكِرَ الضّميرُ العائدُ على الإنسانِ لِقربِ ذكرِهِ، ولم يأتِ بالاسمِ الظّاهرِ؛ أي: لم يقُل: (ولَئِن أذقْنا الإنسانَ نعماءَ)، وفائدتُهُ: تثبيتُ المعنى الّذي تقرَّرَ في ذهنِ السّامعِ، فالكلامُ على الإنسانِ نفسِهِ في بيانِ الحالةِ الثّانيةِ الّتي تصيبُهُ، ولمّا عادَ الضّميرُ على الإنسانِ الّذي ذُكِرَت أوصافُهُ في الآيةِ السّابقةِ دلَّ على أنَّ ذلك الإنسان الّذي هو يؤوسٌ كفورٌ عندما تُنتَزَعُ منهُ الرّحمةُ بعدَ أن نُذيقَهُ إيّاها، هو نفسُهُ فَرِحٌ فَخورٌ عندما نُذيقُهُ النّعماءَ بعدَ ضرّاءَ مَسَّتهُ؛ لِلتّعجيبِ منهُ في الحالتين، وتوبيخِهِ على عدمِ صبرِهِ؛ لاتّصافِهِ بكثرةِ اليأسِ، وكُفْرِ النّعمةِ، وعلى عدمِ شُكرِهِ بالبطرِ والتّباهي بينَ النّاسِ.

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿نَعْمَآءَ﴾ و﴿ضَرَّآءَ﴾:

ظهورُ النّعمةِ على الإنسانِ بعدَ ضُرٍّ مَسَّهُ، أوجبُ لشكرِ الرّحمنِ

لم يقُلْ: (ولَئِن أذقْناهُ نعمةً بعدَ ضرٍّ مَسَّهُ)؛ لأنَّه لمّا كانَ المَقامُ مَقامَ إظهارِ الشّكرِ على نعمِهِ ﷻ على الإنسانِ، ذَكَرَ لفظَ ﴿نَعْمَآءَ﴾ الّذي هو بمعنى النّعمةِ الّتي يَظهرُ أثرُها على صاحبِها؛ أي: على

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/153.

بدنِهِ وحالِهِ، بإزاءِ لفظِ ﴿ضَرَّآءَ﴾ الّذي هو بمعنى مَضرَّةٍ يَظهرُ أثرُها على صاحبِها؛ أي: على بدنِهِ وحالِهِ؛ لِلإشعارِ بأنَّ ظهورَ الحالةِ الحسنةِ على الإنسانِ بعدَ ظهورِ الحالةِ السّيّئةِ عليه، كصحّةٍ ظاهرةٍ بعدَ سَقَمٍ مُضرٍّ ببدنِهِ، وغنىً ظاهرٍ بعدَ عُدمٍ يَظهرُ أثرُهُ السّيّئُ على بدنِهِ وحالِهِ – أوجبُ لحقِّ الشّكرِ للّه تعالى وأوفى لهُ؛ لِظهورِ أثرِ نعمةِ اللّه تعالى وتفضُّلِهِ عليهِ بتبدُّلِ الحالِ عندَهُ، وعندَ النّاسِ مِن مَضرَّةٍ إلى نعمةٍ، والشُّعورِ بها، وأمّا (النّعمةُ والمَضرَّةُ) فإنّهُما أعمُّ؛ لأنَّهُما يَشمَلانِ الباطنَ والظّاهرَ[1]، فعُبِّرَ بالأخصِّ لِمُقتضَى المَقامِ.

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بأسلوبِ الطّباقِ في: ﴿نَعۡمَآءَ﴾ و﴿ضَرَّآءَ﴾:

حُصولُ الإنعامِ بعدَ الإضرارِ ألذُّ لِلمرءِ، وأنفعُ لِلاعتبارِ

عُبِّرَ بأسلوبِ الطّباقِ لِلجمعِ بينَ الحالينِ المُختلفينِ، وقد جاءَا مُتطابقينِ زنةً تأكيدًا على التّضادِّ المُثبَتِ انقلابَ حالِ الإنسانِ مِن حالٍ إلى حالٍ مُباينةٍ لِلأُولى، وذَكَرَ الإضرارَ قبلَ الإنعامِ؛ لأنّه ألذُّ، وجَمَعَ بينَهُما في صورةٍ واحدةٍ؛ لأنّ الضِّدَّ يُظهِرُهُ الضِّدُّ، والإنعامُ بِهِ أظهرُ.

الغرضُ مِن حذفِ حرفِ الجرِّ (مِن) في: ﴿بَعۡدَ ضَرَّآءَ﴾:

طيشُ الكافرِ وخفَّتُهُ حينَ إذاقتِهِ النّعماءَ بعدَ الضّرّاءِ

جاءَ ظرفُ الزّمانِ بنزعِ الخافضِ منهُ، فلم يقُل: (مِن بعدِ ضرّاءَ مَسّتهُ)؛ لِيدلَّ على اتّصالِ زمنِ الضُّرِّ بالقولِ؛ لِلإشعارِ بأنَّهُ قالَ: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ﴾ مع قربِ عهدِهِ بالضّرّاءِ، لِيكونَ زيادةً في توبيخِهِ، وإيذانًا بأنَّ قولَه ما هو إلّا خفَّةٌ وطَيشٌ[2].

سرُّ التّعبيرِ بظرفِ الزّمانِ ﴿بَعۡدَ﴾:

حُصولُ النّعمةِ بعدَ الضُّرِّ، يكونَ الشّكرُ به أتمَّ وأوفى

لمّا كانَ السّياقُ في بيانِ لذّةِ النّعمةِ وتذوّقِها عُبِّرَ عن وقوعِ الإذاقةِ بعدَ مَسِّ الضُّرِّ؛ لِيفيدَ أنَّ لذّةَ إذاقةِ النَّعماءِ على أتمِّها؛ لأنَّ الشُّعُورَ بها عَقِبَ زَوالِ ضِدِّها يَكونُ أتَمَّ وأكمَلَ، فيقتضي أن يكونَ الشُّكرُ أتمَّ وأوفى[3].

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/31.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/234.
(3) رضا، تفسير المنار: 11/274.

نكتةُ اختلافِ المُسندِ إليه في الفعلين: ﴿أَذَقْنَاهُ﴾ و﴿مَسَّتْهُ﴾:

مُرادُ الله بعبادِهِ اليُسرُ، وما ينالُهُم مِنَ الضُّرِّ نيلًا يَسيرًا، هو لطفٌ منه ورحمةٌ

وَقَعَ الاختلافُ في المُسندِ إليه في الفعلين، فقد أسندَ الذّوقَ إلى الضّميرِ الدّالِّ على التّعظيمِ لوقوعِ الفعلِ على الرّحمةِ والنّعماءِ؛ ليؤذنَ بلذَّتِهما وكَونِهما ممّا يُرغَبُ فيه، وإسنادُ المسِّ إلى الضّرّاءِ ليشعرَ بكونِها في أدنى ما يُطلَقُ عليهِ اسمُ المُلاقاةِ مِن مَراتبِها، ففي مُقابلةِ التّعبيرين إيماءٌ إلى أنَّ إصابَةَ الضَّرّاءِ أخَفُّ مِن إصابَةِ النَّعماءِ، وأنَّ لُطفَ الله شاملٌ لِعبادِهِ في كُلِّ حالٍ.

كما أنَّ في لفظِ الإذاقةِ والمَسِّ تنبيهًا على أنَّ ما يَجدُهُ الإنسانُ في الدُّنيا مِنَ النِّعمِ والمِحَنِ كالأنموذَجِ لِما يَجدُهُ في الآخرةِ. كما أنّ إسنادَ الإذاقةِ إلى ضميرِ المتكلِّمِ العائدِ إلى الله تعالى، وإسنادَ المسِّ إلى الضّميرِ العائدِ على الضّرّاءِ، فلم يقُل: (مَسسْناه)؛ للدّلالةِ على أنّ مُرادَهُ تعالى إنّما هو إيصالُ الخيرِ المَرغوبِ فيهِ على أحسَنِ ما يكونُ، وأنّه إنّما يُريدُ بعبادِهِ اليُسرَ دونَ العُسرِ، وإنّما ينالُهُم الضُّرُّ بسوءِ اختيارِهم نيلًا يَسيرًا، كأنّما يُلاصِقُ البَشَرَةَ من غيرِ تَأثيرٍ، كما أنَّ فيه إشعارًا بأنَّ مِن مَقامِ الشّكرِ مُراعاةَ الأدبِ مع ربِّ العالَمين. وذَكَرَ المسَّ المُنبئَ عنِ الضّعفِ؛ للإشعارِ بتلهُّفِ الإنسانِ للنّعمةِ، ورغبتِهِ فيها، وشدّةِ تمسُّكِهِ بها، وضجرِهِ مِنَ الضُّرِّ، وعدمِ تحمّلِهِ له، وإنْ مَسَّهُ مَسًّا خفيفًا. كما يفيدُ أنَّه يقعُ في الكُفرانِ والبَطَرِ بأدنى شيءٍ؛ لأنَّ المَسَّ أوّلُ الوصولِ[1].

الغرضُ مِن إسنادِ جَوابِ القَسمِ إلى القولِ في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾:

نزولُ الضّرّاءِ يحبسُ اللّسانَ، وحضورُ النّعماءِ يُطلقُهُ

جُعِلَ جَوابُ القسمِ هنا القَولَ، وجُعِلَ في الآيةِ السّابقةِ قولُهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾؛ للإشعارِ بالحالةِ النَّفسيَّةِ الّتي تُصيبُ الإنسانَ إذا نُزِعَتْ منه النّعَمُ، وهي عدمُ ظهورِ الكلامِ منهُ لِغمِّهِ ويأسِهِ، وإذا

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/129، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/243، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/19.

أذاقَهُ اللّه نعماءَ بعدَ ضرّاءَ مَسَّتهُ تهيَّجَ لِلقولِ، وتَبَجَّحَ، وتَفاخَرَ، وتَباهى بالنّعمةِ أمامَ النّاسِ[1].

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بالمَجازِ العقليِّ:

قولُهُ: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾، أرادَ بالسّيّئاتِ كلَّ ما يَسوءُ مِن ضُرٍّ وفقرٍ ومَرضٍ ومُصيبةٍ، بمعنى: ذَهَبَ الّذي يَسوؤُني، ولن يَعتَريَني بَعدُ أمثالُها؛ فإنَّ التَّرقُّبَ لِورودِ أمثالِها، ولا سيّما في حالِ النَّعماءِ ممّا يُكدِّرُ السُّرورَ، ويُنغِّصُ العيشَ. وإسنادُ الذّهابِ إلى السّيّئاتِ مِن بابِ إسنادِ الفعلِ إلى سببِهِ، مُبالغةً في بيانِ أهمّيّةِ السّببِ، وأنّ ما وَقَعَ عليهم إنّما هو بسببِهِم.

تـــرقُّـــبُ مـا يَـسـوءُ في حـالِ الـنّـعـمـاءِ، يُـكـدِّرُ الـسّـرورَ، ويُنغِّصُ العَيشَ

الغرضُ مِنَ الكنايةِ في: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾:

أفادَ الإخبارُ بذهابِ السّيّئاتِ عنهُ مَعنيين على سبيلِ الجمعِ بينَ المعنى الظّاهرِ والكنائيِّ: أحدهما المعنى الظّاهر، فإنّهُ لمّا أذاقَهُ اللّه النّعماءَ بعدَ ضرّاءَ مَسّتهُ اعتقدَ أنَّ السّيّئاتِ ذهبَت عنهُ، ولن تَرجعَ إليه، والثّاني: هو كنايةٌ عن أنّهُ يقولُ هذا القولَ لِلازدهاءِ ولِلإعجابِ ولِلتَّباهي[2].

جـمـعُ المعنيين الظّاهرِ والكنائيِّ مُـفـصِـحٌ عـن بـلاغـةِ الـسّـيـاقِ ومَقاصِدِهِ

دلالةُ التّعبيرِ بحرفِ الجرِّ في: ﴿عَنِّيٓ﴾:

لمّا كانَ حرفُ الجرِّ (عن) يُستعمَلُ لِلمُجاوزةِ أشعرَ الكلامُ بأنَّهُ يعتقدُ أنَّ السّيّئاتِ تجاوزَتهُ وذهبَت، ولن ترجعَ إليه، كما أنَّ في التّعبيرِ بـ ﴿عَنِّيٓ﴾ إشارةً إلى اعتقادِ كُلِّ واحدٍ مِنَ الكافرين أنَّهُ حَقيقٌ بأنْ تَذهبَ عَنهُ كلُّ المصائبِ الّتي تَسوؤُه، غُرُورًا منهُ بِنَفسِه، كما في قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [فُصّلت: 50][3].

غـرورُ الكافرِ أنّهُ حقيقٌ بـهِ، أن تَـذهبَ عنهُ كلُّ المصائبِ الّتي تَسوؤُهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/14.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/190.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/14.

شبهُ كمالِ الاتّصالِ في الجملةِ المُؤكَّدةِ بالأداةِ (إنَّ):

قولُهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، أفادَت ﴿إِنَّهُۥ﴾ ربطَ الجملةِ الّتي بعدَها بما قبلَها على معنى بيانِ علَّةِ قولِهِ: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾، والمعنى بسببِ شدّةِ فرحِهِ بالنّعمةِ بعدَ الضّرّاءِ الّتي مَسّتهُ، وكثرةِ فخرِهِ بها، قالَ تلك المقولةَ الّتي وردَت على سبيلِ ذمِّ قائلِها، لتباهي صاحبِها وإعجابِهِ بما حصلَ لهُ، فكأنّها في جوابِ سؤالٍ تقديرُهُ: ما سببُ قولِهِ تلك المَقولَةِ، فجاءَ الجوابُ ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[1]؛ أي: بسببِ اتّصافِهِ بهذين الوصفين اللّذين صارا لازمَين لهُ، وتحتملُ جملةُ ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ أن تكونَ استئنافًا ابتدائيًّا؛ لِلتَّعجُّبِ من حالِهِ[2]، وأفادَتِ الآيةُ أنَّهُ عندَ انتقالِ الإنسانِ مِنَ المحنةِ إلى النِّعمةِ، يكونُ الكافرُ فَرِحًا فخورًا؛ لأنَّ مُنتهَى طبعِ الكافرِ هو الفَوزُ بهذهِ السَّعاداتِ الدُّنيويّةِ، وهُو مُنكِرٌ لِلسَّعاداتِ الأخرَويَّةِ[3].

مُنتهَى غايةِ الكافرِ الفوزُ بالسَّعاداتِ الدُّنيويّةِ؛ لإنكارِهِ السَّعاداتِ الأخرويّةِ

سرُّ مجيءِ تأكيدَين في: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾:

أفادَ التّأكيدُ بـ ﴿إِنَّهُۥ﴾ واللّامِ أنَّ الجملةَ وقعَت جوابًا لِمُنكِرٍ[4]؛ بمعنى: أنَّه لمّا أذاقَهُ اللّه تعالى النّعمةَ بعدَ الضُّرِّ الّذي مَسَّهُ اعتقدَ أنَّ الّذي أصابَهُ مِنَ النّعمةِ بجدِّهِ واجتهادِهِ، فهو باستحقاقِهِ، ولا يَراهُ مِنَ اللّه تعالى؛ جاءَ قولُهُ تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾؛ لِلإشعارِ بأنَّهُ مُنكِرٌ لأنْ يكونَ فرحُه وتباهيه على النّاسِ بغيرِ حقٍّ، فجاءَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ ردًّا على ما يعتقدُهُ، لِيؤذنَ بتوبيخِهِ على كونِهِ فَرِحًا فَخورًا، ولِيُفيدَ أنّهما قد ذُكِرَا على جهةِ الذّمِّ، وأنَّهُ كانَ ينبغي أن يَشكُرَ اللّه بدلًا مِن أن يكونَ فَرِحًا فَخورًا.

عـلى الإنسـانِ شكرُ اللهِ بدلًا مِـن أن يكـونَ فَرِحًا فَخورًا

(1) عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 316 - 324.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/14.
(3) ابن عادل، اللّباب: 10/445.
(4) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 171.

بلاغةُ الإيجازِ في الآيةِ الكريمةِ:

نُسِجَت هذه الآيَةُ على هذا المِنوالِ مِنَ الإجمالِ، فَذَكَرَ فيها الإنسانَ مُطلَقًا، ولم يقيّدهُ بالكافرِ؛ لِتَذهَبَ نُفوسُ السّامِعينَ مِنَ المؤمِنينَ في طُرُقِ الحَذَرِ مِن صِفَتَي اليَأسِ وكُفرانِ النِّعمَةِ، ومِن صِفَتَي الفَرَحِ والفَخرِ كُلَّ مَذهَبٍ مُمكِنٍ[1].

تحذيرُ المؤمنينَ مِنَ الاتّصافِ بأوصافِ الكافرينَ المذمومةِ

دلالةُ الاستثناءِ بيَن الاتّصالِ والانقطاعِ:

يحتملُ أن تكونَ اللّامُ للجنسِ في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ - المستثنى منه - في قولِه: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾، فَيُحمَلُ على الاستغراقِ لِعُمومِ النّاسِ، فيكونُ الاستثناءُ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: مُتّصِلًا، وهو قولُ كثيرٍ مِنَ النّحاةِ والمفسِّرينَ، فيكونُ على مِنوالِ قولِه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: 2 - 3]، ويحتملُ أن يُحمَلَ الإنسانُ على الكافرِ، فتكونُ (اللّام) للعهدِ، ويكونُ الاستثناءُ مُنقطِعًا، وتكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن) كأنَّه قيلَ: مِن ديدنِ الكافرين وعادتِهم أن لا يَصبروا على الضّرّاءِ، ولا يَشكروا على السّرّاءِ، ولكنْ عادةُ المؤمنينَ الصّبرُ والشّكرُ[2].

ديدنُ الكافرين أنْ لا يَصبروا ولا يَشكروا، ولكنْ عادةُ المؤمنينَ خلافُ ذلكَ

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلتِهِ ﴿صَبَرُواْ﴾:

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ لِتضمُّنِه صلةً تكشفُ سببَ الاستثناءِ، ولمّا كانَ مِن معاني الصَّبرِ انتظارُ الفَرَجِ أُوثِرَ هُنا وَصفُ ﴿صَبَرُواْ﴾ دُونَ (آمَنُوا)؛ لأنَّ المُرادَ مُقابَلَةُ حالِهم بحالِ الكُفّارِ في قولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾.

مُقابَلَةُ حالِ المؤمنينَ الصّابرينَ، بحالِ الكُفّارِ اليائِسينَ

سرُّ التّعبيرِ بالفعلِ غيرِ مُقيَّدٍ في قولِهِ ﴿صَبَرُواْ﴾:

لم يُقيَّدِ الفعلُ ﴿صَبَرُواْ﴾؛ لِيفيدَ العُمومَ؛ بمعنى: أنّهُم صبروا على الضّرّاءِ وعنِ الشّهواتِ وعلى الطّاعاتِ[3]، وهو أبلغُ في مدحِهم، وأجلى لِمكانِهم.

الصّبرُ معنًى عامٌّ يشمَلُ الصّبرَ على الضّرّاءِ والشّهواتِ والطّاعاتِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/14.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/27.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/33.

دلالةُ العطفِ في سياقِ جملتي الصّبرِ والعملِ الصّالحِ:

الشّكرُ قرينُ الصّبرِ، والأعمالُ الصّالحةُ ضميمةُ الإيمانِ

قولُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، دلَّ عطفُ قولِهِ: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على ﴿صَبَرُواْ﴾ على تضمينِ الصَّبرِ معنى الإيمانِ؛ لأنَّ الأعمالَ الصّالحةَ ضميمةُ الإيمانِ، ودلَّ ذكرُ الصّبرِ على تضمينِ الأعمالِ الصّالحاتِ معنى الشّكرِ؛ لأنَّ الشُّكرَ قرينُ الصّبرِ، فكأنَّه ذَكَرَ هنا الصّبرَ والشّكرَ والإيمانَ والعملَ الصّالحَ، ففيه تكثيفٌ في المعنى.. كما أنَّ الاستثناءَ مِنَ الكلامِ السّابقِ يقتضيه، فإنَّه لمّا كانَ شأنُ الإنسانِ ومُوجبُ جبلَّتِه؛ أنَّه إذا أصابَتْهُ الضَّرّاءُ بعدَ السَّرّاءِ لم يَصبرْ، وإذا انقلبَت هذه الحالةُ لم يَشكر، استثنى منه المؤمنينَ، ولكنّهُ وَضَعَ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مَوضِعَ (المؤمنين) كنايةً؛ ليُصرِّحَ بهذا المعنى لِمُناسبتِهِ للمَقامِ ولاقتضائِهِ لهُ[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالاستثناءِ:

التّحذيرُ مِنَ الوُقوعِ، فيما يُماثِلُ صفاتِ الكافِرينَ

قولُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، لمّا كانَ الاستثناءُ هو بمعنى الاستدراكِ ممّا مضى مِنَ الكلامِ دلَّ على أنَّ المرادَ مِنَ الإنسانِ أن يَكونَ عندَ البلاءِ مِنَ الصّابرينَ، وأن يَكونَ عندَ الرّاحَةِ والخَيرِ مِنَ الشّاكرينَ.. ولمّا كانَ الاستثناءُ على معنى إخراجِ المُستَثنى مِن حُكمِ المُستَثنى منهُ دلَّ على أنَّ الّذينَ صبروا وعَملوا الصّالحاتِ مُتَّصِفونَ بضدِّ صفاتِ المُستَثنى مِنهُم، وفي هذا تَحذيرٌ مِنَ الوُقوعِ فيما يُماثِلُ صفاتِ الكافِرينَ[2].

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

عاقبةُ الصّبرِ والعملِ الصّالحِ المَغفرةُ والأجرُ عندَ اللهِ تعالى

لمّا كانَ اسمُ الإشارةِ عائدًا إلى الاسمِ الموصولِ مع صلتِهِ في قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دلَّ على أنَّ سببَ بناءِ الخبرِ على اسمِ الإشارةِ هو لأجلِ ما ذُكِرَ في حَيّزِ الصّلةِ، فأفادَ أنّهم استَحَقُّوا

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/27، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/33.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/323، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/15.

المغفرةَ والأجرَ الكبيرَ لأجلِ مَا ذُكِرَ مِن وصفِهم بالصّبرِ والعملِ الصّالحِ. ولمّا كانَ اسمُ الإشارةِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ فيه معنى البُعدِ آذنَ بِعلوِّ درجتِهم وبُعدِ مَنزلتِهم في الفضلِ؛ أي: أولئكَ المَوصوفونَ بتلكَ الصّفاتِ الحميدةِ لَهُم مَغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ[1].

الغرضُ مِنَ التّقديمِ والتّأخيرِ:

قولُهُ: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وفيه تقديمُ الخبرِ ﴿لَهُم﴾ على المبتدأ ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾، وإنْ كانَ في عرفِ القواعدِ النّحويّةِ واجبَ التّقديمِ، ولكنّه لا يخلو مِن فائدةِ الحصرِ الادعائيِّ؛ بمعنى أنَّ أولئكَ المذكورينَ في الموصولِ وصلتِهِ هُم وحدَهُم لَهُم مَغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ دونَ اليؤوسِ الكَفورِ والفَرِحِ الفَخورِ؛ ليفيدَ الحصرُ المبالغةَ في المدحِ، ولِتنبيهِ المؤمنينَ على المبادرةِ إلى الاتّصافِ بالصّبرِ والعملِ الصّالحِ.

المبادرةُ إلى الاتّصافِ بالصّبرِ والعملِ الصّالحِ مِنَ اللهِ تعالى

دلالةُ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ المُصدَّرةِ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وفيه أنّه لمّا كانَ قولُهُ تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ خبرًا عن ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾، وكانَتِ الجملةُ اسميّةً مِنَ الطّرفين؛ أي: الجملةُ الكبرى والصّغرى دلَّ هذا على تقويةِ ثبوتِ المغفرةِ والأجرِ الكبيرِ للّذين صبروا وعَملوا الصّالحاتِ وتأكيدِهِ؛ لأنّ في التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ استعلاءً على الزّمنِ واستمرارًا للحدثِ.

التّعبيرُ بالجملةِ الاسميّةِ استعلاءٌ على الزّمنِ، واستمرارٌ لِلحدثِ

دلالةُ اللّامِ في: ﴿لَهُم﴾:

لمّا كانَ حالُ الكافرينَ مِنَ النّعماءِ في الدُّنيا هي الإذاقةَ فقط، فهي لا تفيدُ مُلكًا لِلشّيءِ ولا الاختصاصَ به، فغايةُ الذّوقِ أقلُّ ما يُدرَكُ به طعمُ المطعومِ وما يجري عليه، فلمّا كانَ الأمرُ كذلك ذَكَرَ اللّه تعالى حالَ المؤمنينَ يومَ القيامةِ على سبيلِ المقابلةِ؛ أي: لَهُمُ

مُجازاةُ الّذين صبروا وعَمِلوا الصّالحاتِ، بتَمامِ المَغفرةِ والأجرِ الكبيرِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/190، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/15.

المَغفرةُ والأجرُ الكبيرُ على جهةِ الاختصاصِ؛ لِما تفيدُهُ اللّامُ في ﴿لَهُم﴾ مِن معنى الاختصاصِ؛ بمعنى: أنّهُم لا يكتفونَ بذوقِ المَغفرةِ والأجرِ الكبيرِ فيفيدُ حصولَهُم على أقلِّ الأمرِ، بل المَغفرةُ والأجرُ الكبيرُ مُختصّانِ بهِم، فتفيدُ اللّامُ حصولَهم على تَمامِ المَغفرةِ وتمامِ الأجرِ الكبيرِ.

دلالةُ الواو في: ﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

جمعُ المتعاطفين تأكيدٌ على حصولِ المغفرةِ والأجرِ معًا، لا أحدِهما فقط

لمّا كانَت واوُ العطفِ على معنى الجمعِ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه؛ لِتفيدَ التّشريكَ في الحكمِ، دلَّ على ثبوتِ حصولِ المَغفرةِ والأجرِ الكبيرِ على سبيلِ الاجتماعِ.

فائدةُ تنكير: ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾:

الصّابرونَ الشّاكرونَ لَهُم مَغفرةٌ عظيمةٌ لِذنوبِهم، وإنْ تكاثرَت

أفادَ التّنكيرُ تعظيمَ المَغفرةِ؛ بمعنى: لَهُم مَغفرةٌ عظيمةٌ لِذنوبِهِم، وإنْ جَمَّت[1].

بلاغةُ جملةِ التّذييلِ في السّياقِ الكريمِ:

جَمَعَ اللهُ لِلمُؤمنينَ يومَ القيامةِ زوالَ العقابِ والفوزَ بالثّوابِ

قولُهُ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ جملةُ التّذييلِ، حيث أنّه إنَّه لمّا كانَ غايةُ الفلاحِ هي الخلوصَ مِنَ الأذى والضُّرِّ، وتحصيلَ الرّحمةِ، والتَّرفُّهَ بالنِّعمِ يومَ القيامةِ، جَمَعَ اللهُ لِلمُؤمنينَ هَذَينِ المَطلُوبَينِ، فكانَ أحَدُهُما: زَوالُ العِقابِ والخَلاصُ منه، وهو المُرادُ مِن قَولِهِ: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، والثّاني: الفَوزُ بالثَّوابِ، وهو المُرادُ مِن قَولِهِ: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2].

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ في آيتي: سورةِ هود، وسورةِ فُصّلت:

مُناسبةُ التّعبيرِ لِمُناسبةِ المقامِ في الآيتين الكريمتين

قالَ اللهُ تعالى هنا في سورةِ هودٍ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، وقالَ في سورةِ فُصِّلَت: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/190.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 1/377.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فُصّلت: 50]؛ ففيه زيادةُ ﴿مِّنَّا﴾ وزيادةُ ﴿مِنْ﴾ في سورةِ فُصِّلَت عمّا في سورةِ هودٍ:

ووجهُ ذلك أنَّه لم يَرِد في هودٍ ما يَستَدعي تلك الزِّيادةَ، وأمّا سورةُ فُصِّلَت فتقدَّمَ فيها قولُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فُصّلت: 47] قَطعًا بهم، وتَنبيهًا على سُوءِ مُرتَكَبِهم، وقد عايَنوا الحقَّ، وضلَّ عنهُم ما كانوا يَدّعونَ مِن قَبلُ مِن شُركاءِ اللّه سبحانَهُ، وأيقَنوا وعَلِموا أنَّه لا مَحيصَ لهم ولا مَفرَّ؛ فلمّا تَقدَّم ذِكرُ الشُّرَكاءِ قالَ تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فُصّلت: 50]، فنبّهَ تعالى بقولِهِ: ﴿مِّنَّا﴾ على أنْ لا شريكَ لهُ، ولا مُعطيَ غيرُهُ، وأنَّه لا يأتي العبدَ شيءٌ مِن سواهُ سبحانَهُ. ولمّا لم يَتقدَّمْ في سورةِ هود ذكرٌ لِذلكَ لم يَرِدْ فيها التَّنبيهُ بقولِهِ: ﴿مِّنَّا﴾.

وأمّا زيادةُ: ﴿مِنْ﴾ في قولِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [فُصّلت: 50] فَمُناسِبٌ لإطنابِ هذا الغرضِ في هذهِ السّورةِ؛ لإفادتِهِ تعيينَ ابتداءِ زمنِ إذاقةِ النَّعماءِ مِن بعدِ إمساسِهِ بالضّرّاءِ؛ لِيكونَ أوثقَ في ظهورِ منّةِ اللّه تعالى عليه، فناسبَ ذلك الزّيادةَ. وأمّا حذفُ (مِنْ) في سورةِ هودٍ فقد تَقدَّمَ أنَّه لإفادةِ اتّصالِ زمنِ الضُّرِّ بالقولِ؛ لِلإشعارِ بأنَّه قالَ: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ مع قُربِ عهدِهِ بالضّرّاءِ، كما أنَّ مَا أطنبَ في سورةِ فُصّلت ممّا يَتعلَّقُ بالتّوحيدِ قد أوجزَ، فناسبَهُ سقوطُ (مِنْ)، فجاءَ كلٌّ على ما يُناسِبُ ويَجِبُ، ولم يكنْ لِيُلائِمَ كلًّا مِنَ الموضوعين إلّا ما وَرَدَ فيه[1].

وفي توجيه المتشابِهِ المذكورِ وجهٌ آخرَ، وهو أنَّه في سورةِ فُصِّلَت بيَّنَ تعالى جِهةَ الرَّحمةِ، بقولِهِ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فُصّلت49]؛ فناسَبَ ذِكرُ ﴿مِّنَّا﴾، وحَذَفَهُ هنا اكتفاءً بقولِهِ قبلُ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: 9]، وزادَ ﴿مِنْ﴾ في سورةِ فُصِّلَت؛ لأنَّه لَمّا حدَّ الرَّحمةَ وجِهَتَها حدَّ الظَّرفَ بعدَها؛ لِيَتشاكلا في التَّحديدِ، وهنا لَمّا لم يَذكُرِ الأوَّلَ، لم يَذكُرِ الثّانيَ لِيتشاكلا[2].

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/253.

(2) الكرمانيّ، أسرار التّكرار في القرآن، ص: 223، والأنصاريّ، فتح الرّحمن، ص: 259 - 260.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»